وكان حصورا لا يقرب النساء حصر نفسه اى منعها من اتباع شهوته ولا يقرب اللهو
واللعب ايضا وانه لم يعص الله تعالى في عمره قط ولم يهم بمعصية ومن كون الشيء بمعنى
الشبيه والنظير قوله فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا اى شبيها ونظيرا
في عظمته وكبريائه فان السمي بمعنى الشبيه لا بمعنى المشارك في الاسم لان قوله هل تعلم
له سميا تعليل للامر بعبادته تعالى ومعلوم ان مجرد تفرده بالاسم لا يوجب عبادته و
انما اطلق السمي على المثل والشبيه لان كل واحد من المتشابهين في الصفة
يطلق عليه ما يطلق على الآخر فيكونان سميين قوله لانه حيي به رحم امه فان
عقر الرحم بمنزلة الميت فاذا زال عقره بحصول الحمل صار كأنه حي فسمي يحيى لكونه سببا
لحيوته ثم انه عليه السلام لما بشر بالغلام المسمى يحيى قال رب انى يكون اى من اين يكون لي غلام وقوله وكانت
امرأتي عاقرا حال من ياء المتكلم في قوله انى يكون لي وقد بلغت ... وقوله وقد بلغت حال معطوفة
على قوله وكانت امرأتي عاقرا اى من اين يكون لي غلام وكان العقر صفة قديمة لامرأتي لم يولد لي منها
ولد قط وقد بلغت سن الشيخوخة وسقوط القوة لم يقل زكريا هذا الكلام تعجبا واستبعادا
لان يولد له غلام لانه هو الذي طلب ان يهب الله تعالى غلاما من لدنه ولا وجه لتعجبه منه
بل اراد به البحث عن انه تعالى يعطيه ذلك بجعلهما شابين ثم يرزقهما ذلك او يتركهما شيخين
ويرزقهما الولد حال الشيخوخة قوله جساوة وتحولا الجساوة ونفاد الرطوبة يقال جسى
الشيخ جساوة وجسوا اى بلغ غاية السن وتحل الشيء تحولا اى يبس وتحل الشيخ تحلا
اى يبس جلده على عظمه قوله عتيا اصله عتوو من عتا يعتو اذا فسد استثقل واوان
بعد ضمتين فكسر التاء تخفيفا فانقلبت الواو الاولى ياء لسكونها وانكسار ما قبلها
فاجتمعت الواو والياء وسبقت احديهما بالسكون فقلبت الواو ياء وادغمت
قوله والمعنى كذلك اى لكون استجابة الله ... اجيب بتصديقه في ذلك الاعتراف
فقيل له كذلك على ان محل الكاف رفع على انه خبر مبتدأ محذوف وقوله قال ربك
كلام مبتدأ استونف به لتحقيق الامر كذلك ووجه الاستيناف على تقدير ان يكون
فاعل قال في قوله قال ربك جبرئيل عليه السلام انه لما ... كذلك بمعنى الامر كذلك توجه
لزكريا ان يقول ماذا قال ربي تعالى قال جبرئيل قال ربك هو على هين ووجهه على تقدير
ان يكون فاعله هو الله تعالى ان جبرئيل لما حكى قوله تعالى بقوله قال كذلك توجه لزكريا ان يسأله
ويقول فهل قال ربي شيئا غير ذلك فقال له جبرئيل قال ربك هو على هين وان كان الكاف الامر
في قوله كذلك منصوبا بقال الثاني متعلقا به وكان ذلك اشارة الى مبهم يفسره قوله هو على

على هين كما في قوله وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين فانه اشير فيه
بقوله ذلك الامر الى المبهم ثم فسر ذلك المبهم بقوله ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين يكون قال الكاف
مع متعلقه المقدم مقولا لقال الاول اما على تقدير ان يكون فاعل قال الاول هو جبرئيل
فظاهر فالمعنى قال جبرئيل لزكريا قال ربك مثل ذلك القول وهو قوله هو على هين و
اما على تقدير ان يكون فاعله هو الله فوجه كون فاعل كل واحد من القولين هو الله تعالى لما بشره بغلام
جليل مسمى بيحيى قال له زكريا رب انى يكون لي غلام الى آخره فاجابه الله تعالى بان قال له
كذلك قال ربك اى قال الله له قال ربك مثل ذلك القول وهو قوله هو على هين والظاهر
ان يقتصر في الجواب على ان يقال قال هو على هين الا انه زاد ما زاد حيث عبر عن نفسه
بلفظ ربك وسلك سبيل التفصيل بعد الابهام ليطمئن قلب زكريا بعض بناء على ان مقتضى
الربوبية الوفاء بالوعد وان تحصيل الحكم بعد ابهامه يوجب مزيد تمكنه في القلب وهذا كما ان الملك العظيم
اذا وعد عبده شيئا عظيم القدر واستبعد العبد بناء على عدم استحقاقه لذلك الاحسان
من اين يكون لي هذا الاحسان العظيم فقال الملك سيدك وسلطانك ضمن لك بذلك الاحسان كانه
يقول لا تنظر الى دناءة قدرك وانظر الى عظم شان سلطانك فكذلك الحال في الاية قوله
ويؤيد الاول وهو ان يكون الكاف خبر مبتدأ محذوف ويكون الجملة مفعول قال الاول قراءة
قراءة من قرأ وهو على هين بالواو فان الكاف في هذه القراءة لا يجوز كونها منصوبة بقال الثاني
وكون ذلك اشارة الى مبهم يفسره قوله وهو على هين اذ لا يجوز تخلل العاطف بين المفسر والمفسر
فاذا اتفق الاول في هذه القراءة ناسب ان يكون الامر كذلك في القراءة بدون الواو ايضا
فلا يكون ذلك اشارة الى المبهم بل يكون اشارة اما الى قول زكريا رب انى يكون لي غلام وكانت امرأتي
عاقرا او يكون قوله وهو على هين معطوفا على قوله الامر كذلك ويكون المعنى الامر كما قلت وهو على كونه كما قلت علي م
سهل على واما الى الوعد السابق المدلول عليه بقوله انا نبشرك بغلام اسمه يحيى الاية فيكون
قوله وهو على هين معطوفا على جملة قوله الامر كذلك على ان يكون الاشارة الى الوعد السابق
ويكون المعنى الامر كما وعدت من ان يولد لك غلام مسمى بيحيى وهو على هين لا احتاج فيما اريد ان افعله الى الاسباب
وهو على هين مع ما عطف عليه من قبيل اللف والنشر المرتب الاول مرتب على كون ذلك اشارة الى قول زكريا
والمعنى الامر كما قلت يكون على والثاني متفرع على كونه اشارة الى الوعد السابق والمعنى هو اى ذلك
الموعود هين على لا احتاج فيما اريد ان افعله الى الاسباب وهو على هين على التقديرين معطوف
على الجملة الواقعة مقولة لقال الكاف محذوفا ولا يختلف المعنى بان يكون قال الاول مسندا الى ضمير الله تعالى
او الى ضمير جبرئيل غاية ما في الباب ان يكون وعد الله تعالى بذلك ابتداء ويكون وعد جبرئيل بذكر الحكاية

Copyright © King Saud University